هل أنا شهيد؟!

حين طلبت قريش من الرسول ﷺ أن يُخْرِج إليهم القرشيين من المهاجرين ، وذلك من أجل المبارزة يوم بدر ، قال الرسول ﷺ: «يا حمزة بن عبد المطلب ، يا عبيدة بن الحارث ، يا علي بن أبي طالب ، قوموا إلىٰ جنّة عرضها السموات والأرض».

وكان حمزة عم الرسول ﷺ ، وعبيدة وعليّ ابني عمّيه ، فبارزوا أعداءهم من المشركين ، فقتلوهم. وكان عبيدة بن الحارث قد قُطعت رجله في المبارزة ، فحمله حمزة وعليّ ، وهو ينشد:

ستبلغ عنّا أهل مكة وقعةً ... يهبّ لها من كان عن ذاك نائيا
بعتبة إذْ ولّىٰ وشيبةَ بعده ... وما كان فيها بكرُ عتبة راضيا
فإن يقطعوا رجلي فإني مسلم ... أرجّي بها عيشاً من الله دانيا
مع الحور أمثال التمائيل أُخلصت ... مع الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعتُ بها عيشاً تعرّفتُ صفوهُ ... وعالجته حتىٰ فقدْتُ الأدانيا
فأكرمني الرحمن من فضل منّةٍ ... بثوبٍ من الإسلام غطّىٰ المساويا
وما كان مكروهاً إليّ قتالهم ... غداة دعا الأكفاء من كان داعيا
ولم يبْغ إذْ سالوا النبي سواءَنا ... ثلاثتنا حتىٰ حضرنا المناديا
لقيناهُمُ كالأسد تخطر بالقَنا ... نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا ... ثلاثتنا حتىٰ أُزيرُوا المنائيا[1]

ثم جاؤوا به ـ بعبيدة بن الحارث ـ ووضعوه عند قدمي رسول الله ﷺ، وهو

---

(١) المنائيا: يريد المنايا.

قائمٌ يصلّي. فلما فرغ الرسول ﷺ من صلاته التفت إلىٰ عبيدة.

فقال عبيدة: يا رسول الله، أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لَعَلِم أني أحق منه بما قال حين يقول:

كذبتُم وبيت الله نبْزى[1] محمداً ولما نُطاعن دونه ونناضلِ
ونُسلمه حتىٰ نُصرّع دُونه ونذهلُ عن أبنائنا والحلائلِ

ثم نظر إلىٰ رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله، هل أنا شهيد؟

فقال الرسول ﷺ: «إني أشهد إنك لشهيد»، ثم توفي عبيدة رضي الله عنه شهيداً[2].

أجل يا روح الوجود يا محمد!

إنها محبّة لا مثيل لها، وكيف لا؟ وقد رأىٰ الصحابة أنوار وجهك، فصلاة الله وسلامه عليك:

بكَ يا رسول الله تعبق دوحةٌ وضياء نورِكَ للجوانح فرحةٌ
لك يا نبيّ الله تختم صفحةٌ بك يا ابن عبد الله قامت سمحةٌ
بالحق من حلل الهدىٰ غرّاءُ
الروح في دمع العيون غريقةٌ وبعفو خالقها الكريم طليقةٌ
لدخول أبواب الجنان خليقةٌ بنيت علىٰ التوحيد وهي حقيقةٌ
نادىٰ بها سُقراط والقدماءُ
النفس تزهو في مآثر طُهرها تعدو إلىٰ ربّ الأنام بخيرها
رُحْماكَ ربّ العرش أذهب وزْرها ومشىٰ علىٰ وجه الزمان بنورها
كُهّان وادي النيل والعرفاءُ

* * *

---

(١) أي: نترك ونعاف.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢/ ١٢٥، المستدرك: ٣/ ١٨٨، سيرة ابن هشام: ٣/ ٢٥.